امير الألاي صادق بك

﴿ وجمعية الاتحاد والترقي ﴾

يتساءل الناس في هذه الايام من هو صادق بك وما هي مكانته وما شأنه في هذا الاصلاح الذى حصل في حزب الاتحاد والترقي في مجلس المبعوثين

في هذه الايام عرف في مصر وفي كثير من البلاد اسم صادق بك والناس واقفون في الحكم له او عليه واصحاب الجرائد قد امسكوا عن التعريف به سواء منهم المتشيع للاتحاديين والمتتبع لعوراتهم والمعتدل في كلامه عنهم . وقد ذكرت على مسمع غير واحد من محرريها شيئاً من فضل الرجل الذي يعرفه كل الخواص في الآستانة فكتب بعضهم جملة صالحة ولكني أرى الناس لا يزالون يتساءلون فأحببت أن أكتب في المنار كلمة أخرى في التعريف بهذا الرجل الذى يقل مثله في الرجال

اشتهر ان الانقلاب العثماني كان بتدبير جمعية الاتحاد والترقي فى سلانيك ومناستر وعرف الخاص والعام ان الانقلاب كان من عمل الجيش ، بهذا علا مقام كل ضابط عثماني ورفع اسم نيازي بك وانور بك على كل اسم ولكن خفي اسم صادق بك وهو أجدر بالظهور ، وصار كل من ينسب الى جمعية الاتحاد والترقي يفخر ويسمو بأنه رب الدستور وحاميه فتزاحم على أبوابها طلاب الشهرة ورواد المنفعة وعباد القوة . وانفض من حولها الكثيرون من العاملين المخلصين ، وانبرى لمعارضة حزبها فى مجلس الامة حزبان كان خيار رجالهما من الاتحاديين ، ومن بقي فى حزبها أزواج ثلاثة : — بعض الزعماء (كالبكوات رحمي وطلعت وجاويد) ومن استعذب مشربهم واذعن للسري والجهري من احكام جمعيتهم لانه يرى فيها رأيهم ، وهم الاقلون ، — و٢ طلاب المنافع ، واتباع كل ناعق ، و٣ المستقلون المخلصون الذين يرون ان بقاءهم فى الجمعية خير من خروجهم منها وأرجى لتقويم عوجها

ورد في الحديث الشريف « ان لكل شيء شرة(١) ولكل شرة فترة فان صاحبها

(١) الشرة بكسر الشين وتشديد الراء الحدة والنشاط وهي ضد الفترة

سددوا وقاربوا فارجوه ، وان اشير اليه بالاصابع فلا تسدوه » (رواه الترمذي بسند صحيح) وقد جرت سنة الله ان الشيء اذا كان في شرة إقباله يقبل الجمهور كل مدح فيه وان كان ظاهر البطلان ، ويرد كل انتقاد عليه وان كان كالشمس في رابعة النهار ، وكان يظن ان شرة إقبال الاتحاديين يطول زمنها فكذب الظن بسوء تصرف الزعماء وقلة كفاءتهم وبمجافاة بعض مقاصدهم لمصلحة المملكة وتقاليدها ولما تقتضيه طبيعة العصر في سياسة الشعوب المختلفة في الملل واللغات ، ولاستعجالهم في حب الظهور ، والاستئثار بجميع الامور ، فما سددوا وما قاربوا ، وقد اشير اليهم بالاصابع فلم يلبثوا ان سقطوا ، وصدقت عليهم الحكمة النبوية في هذا الحديث الشريف

رفعت الامم اسم « الاتحاد والترقي » بعمل صادق بك الخفي وإخلاصه العظيم ، فتدفق الثناء على الاتحاديين في أنهار عذب الشرق والغرب حتى صار بحرا زاخراً طفت فوقه اسماء كثيرة فرآها الناس سابحة في الثناء ، منها ماله قيمة كالفلك ومنها ماهو كالقشاء ، ورسب في قاعه اسم صادق بك كما يرسب الدر في أعماق البحار ، فلم تهتف باسمه الجرائد ، ولم ينوه به في تلك الخطب والاغاني والقصائد ، كما نوه باسم نيازي وأنور اللذين كانا سيفين من سيوفه تحركهما يده العاملة وتصرفهما أوامره النافذة ، ألا إن صادق بك هو « قومندان » الانقلاب العثماني وموجد الدستور

واسأل عن ذلك كتاب (خاطرات نيازي) فهو يخبرك اليقين ، « ولا ينبئك مثل خبير » فصادق بك اجدر رجال الدستور بالظهور واحقهم بالثناء وكلهم يعرف له هذا الفضل ولكنه هو الذي احب الخمول وترفع عن الثناء والمكافأة على عمله من الجمعية أو الحكومة ، فهو الزعيم الذي لم يأخذ مالا ولا وساما حتى ان شوكت باشا رغب اليه ان يقبل يوم عيد الدستور من السنة الماضية وساما مرصعاً تقرر إنعام السلطان به عليه فلم يقبل . زرت صاحبا لي من الاتحاديين قبل ذلك العيد بيوم واحد فقال لي لو جئت قبل ربع ساعة لوجدت صادقاً هنا وقد اخبرني بكذا وكذا وذكر مسألة الوسام ومسائل أخرى

انني لما جئت الآستانة في عام ١٣٢٧ كان صادق بك لايزال عميد الجمعية المسئول (أي رئيسها ويسمونه المرخص العام لان من نظامها أنه ليس لها رئيس ويشبه الخلاف ان يكون قطبيا) ولما عرضت مشروع الدعوة والارشاد (أو العلم والارشاد كما سميناه هناك) على الصدر الاعظم قال لي هذا مشروع نافع لا بد منه ولا يتم هنا شيء الا

اذا رضيت به جمعية الاتحاد والترقي وسأكلم صادق بك في المشروع ثم اخبرك هل يمكن تنفيذه أم لا ، ودعا حاجبه وقال له اذهب غدا الى صادق بك وقل له اني احب ان أراه . ثم أخبرني الصدر ان صادقا اقترح تأليف لجنتين للبحث معي في المشروع إحداهما علمية دينية والاخرى سياسية إدارية ، وبرأيه تألفت اللجنتان وبعد البحث الطويل أقرتا المشروع فقال لي الصدر الاعظم ان المشروع قد تم نهائياً فألف الجمعية وتمال أخصص لك المال اللازم للتنفيذ . وقد علم قراء المنار من قبل ان وزارة هذا الصدر (وهو حسين حلمي باشا) قد استقالت قبل أن يتم لنا تأليف الجمعية وازيدهم الآن ماهو المقصود هنا وهو ان صادق بك ترك العمل في الجمعية ولماذا ؟

كان من رأي صادق بك بعد أن استقر أمر الدستور وتألف مجلس الامة ان تترك الجمعية للحكومة الحرية في عملها وتكتفي بالمراقبة عليها فلا تتعرض لشيء الا اذا رأت الدستور مهدداً بالزوال وقد اتفق مع محمود شوكت باشا على منع الضباط من الاشتغال بالسياسة ولما كان لامندوحة له عن الاستمرار في خدمة الجمعية عوّل على الاستقالة من الجيش ، وبعد هذا الاتفاق خطب محمود شوكت باشا خطبتيه الشهيرتين في الفيلق الاول بالآستانة والفيلق الثاني بادرنه ، وصرح في الخطبة الثانية بقوله ان أخانا صادق بك لما كان يريد البقاء في جمعية الاتحاد والترقي فسيقدم لي استقالته ،

كان الذين تواطؤا على الاستقلال بزعامة الجمعية والسيطرة على الحكومة قد استمالوا اليهم قبل هذا الاتفاق كثيراً من الضباط بضروب من الاستمالة فصار لهم عصبية منهم ولما صار طلعت بك ناظر الداخلية كان أقدر من غيره على هذه الاستمالة فأدخل في الوظائف الادارية كثيراً من الضباط وقد كنت مدعوا عنده في بعض الليالي فجاء اثنان منهم ونحن سامرون معه في الليل فكان الواحد منهم يجلس في مكانه ويعبث بمكتبه ويبحث في أوراقه ورأينا ان حديثه معنا قد تلجلج وان من حسن الذوق ان ننصرف ليخلو لهما وجهه ، وندع الحديث الى وقت آخر فاستأذنا وانصرفنا

كان ارتباط زعماء الجمعية بالضباط واشتغال الضباط بالسياسة من أعظم الاخطار التي تهدد الدولة وقد انتقدته الجرائد الاوربية باشد مما انتقدت غيره من أعمال الجمعية بعد ظهور الخلل فيها ، وانتقده الجم الغفير من الضباط كما سمعت باذني من بعض أركان الحرب منهم وعدهم حق كان يخشى ان يقع الشقاق في الجيش نفسه بالتنازع بين أنصارها والساخطين عليها من الضباط وقد وافق صادق بك محمود شوكت باشا على تلافي هذا الامر ولم يقدر على تنفيذه بالفعل

كتب صادق بك استقالته من الجيش وكتب مذكرة للجمعية المركزية اشترط فيها لبقائه عاملا في الجمعية باسم المرخص أو المدير المسئول شروطا منها أن يترك طلعت بك نظارة الداخلية وجاويد بك نظارة المالية واحمد رضا بك رئاسة المجلس لانه لاينبغي على رأيه ان يكون زعماء الجمعية من رؤساء الحكومة لما لهم من القوة التي تمكنهم من الاستبداد ، فكبر ذلك على هؤلاء الزعماء بعد أن مكنوا لانفسهم في الارض ورأوا أنهم صاروا في هذه الدولة هم الائمة الوارثين ، وكان قد ظهر من رياستهم تنفير جميع العناصر الثانية من اخوانهم الترك . وتقديم اليهود في نظارة المالية على غيرهم ، واعلاء كلمة الماسونية ، والاسراف في نشرها ، وتقديم المقدمين فيها على غيرهم في جميع المناصب والاعمال ، وجعل مقام الخلافة كالمجرد من كل سلطة ونفوذ

كبرت شروط صادق بك على أولئك الزعماء فكانوا منها في أمر مريج لان ترك السلطة والدولة بعد التمكن منهما لاتسمح به النفس ، ومخالفة صادق بك ليست بالامر السهل ، فرأوا بعد الروية والتفكير أن يجتهد في اقناعه بالتنازل عن بعض تلك الشروط وأهمها عندهم ترك السلطة وحرية الحكومة بعدم سيطرة الجمعية عليها ، وقد بلغني يومئذ ممن أثق به من الاتحاديين ان طلعت بك قصد دار صادق بك غير مرة في الليل ولم يأذن له صادق بلقائه ، ولما رأى انه لايسهل عليهم اجابته الى ما طلب وأنهم خائفون منه ان يحاول تنفيذ مطالبه بالقوة وعلم — كما قيل لي يومئذ — انهم يراجعون من استمالوه من الضباط لتأييدهم ، أمنهم من اعتماده على السيف في ذلك لان هذا هو الذي ينكره ويخشاه فكيف يكون هو البادئ به ، وآذنهم بانه يترك لهم جميعهم ويسترد استقالته من الجيش وكذلك فعل ، وكان هذا من آيات اخلاصه الكثيرة

ترك لهم هذا الصادق كلا من الجمعية والحكومة فبعد ان قبلوا وزارة حسين حلمي باشا لانه لم يستطع الصبر على أن يكون آلة معدنية في يدي طلعت وجاويد جاؤا يمقتي بك فجعلوه صدرا والناس مختلفون فيه فظهر بعد الاختبار أنه أصبر الناس على ما لم يطق قبوله كامل باشا ولا الاستمرار عليه حسين حلمي باشا ، وتفاقمت الخطوب من سياسة طلعت وجاويد حتى ضج مجلس الامة بالشكوى وبلغت أصوات المعارضين عنان السماء بعد ان ازعجت سكان الارض حتى اضطر طلعت بك الى الاستقالة من نظارة الداخلية فصوبت سهام المعارضة بعده الى جاويد بك خاصة والى رجال الوزارة عامة ، والى جاهد بك صاحب جريدة (طنين) الذي هو المحامي عن جمعية الاتحاد والترقي بقلمه المسموم الذي سماه بعض أدباء الاستانة من الترك « سفيه القوم »

انني أقمت في الآستانة سنة كاملة، وقفت فيها على غوامض سياستها ومخبآت صناديق أسرارها، ووردت في ذلك موارد قلما تتيسر كلها لاحد، فقد عاشرت كثيرين من العلماء والوجهاء والادباء والضباط والمبعوثين والاعيان ورجال الحكومة وغيرهم ومنهم من لهم صلة بالاسرة السلطانية، ومنهم الاتحادي وغير الاتحادي، وقد استفدت من مجموعهم الجزم بعدة مسائل أذكر منها مايفيد في هذا المقام:

(١) ان مولانا السلطان متبرم من القوم وغير راض من الحال العامة وينتظر ان تغيرها الحوادث الى أحسن مما هي عليه، ولا أزيد على هذا في هذه المسألة

(٢) ان بعض زعماء جمعية الاتحاد والترقي يريدون ان تبقى الدولة في أيديهم يديرونها كما يقررون فيما بينهم بزعامي حزبهم في مجلس الامة ورجالهم في وزارات الباب العالي وسائر المصالح، ويؤيدهم في ذلك طائفة من ضباط الجيش

(٣) يجب على كل وزير أو رئيس عمل منهم أن ينفذ كل ما تقرره اللجنة العليا للجمعية في الحكومة

(٤) يديرون نظام حزبهم في المجلس بطريقة تجعله آلة في أيدي من فيه من زعماء الجمعية كطلعت بك ورحمي بك وجاويد بك وخليل بك ومن يليهم في النفوذ كمجاهد بك واسماعيل حقي بك، فاذا اتفق هؤلاء مع لجنة سلانيك على أمر جمعوا حزبهم للمذاكرة فيه وهو متفق عليه بين الزعماء ومن يقنعون به قبل الاجتماع ممن يسهل إقناعهم، ومن نظام حزبهم أنه اذا أقر الثلثان من حاضري الجلسة فيه أمراً وجب على الباقين اتباعهم بغير مناقشة فكان اذا حضر الجلسة ستون وهم نصف أعضاء الحزب واتفق أربعون منهم على المسألة تبعهم الباقي هم ١٢٠ فينفذ في المجلس على انه رأي أكثر أعضائه وانما هو رأي الاقلين من حزب واحد من أحزابه

(٥) ان هؤلاء الزعماء كلهم من شيعة الماسون يجتهدون في نشرها وجعل رجال الحكومة من أعضائها كما ينشرونها في ضباط الجيش وقد يكون هذا تمهيدا للفصل بين السياسة والدين وتجريد السلطان من صفة الخلافة الاسلامية

(٦) ان من لوازم تشيعهم للماسونية قوة نفوذ اليهود فيهم وفي الدولة وذلك يفضي الى فوز الجمعية الصهيونية في استعمار بلاد فلسطين الذي يراد به إعادة ملك اسرائيل الى وطنهم الاول، والى ابتلاع أصحاب الملايين من اليهود لكثير من خيرات البلاد

(٧) من أهم مقاصد هؤلاء الزعماء جعل السيادة والسلطة في المملكة العثمانية

للشعب التركي والتوسل بقوة الدولة الى إضعاف اللغة العربية واماتتها في المملكة وتقريك العرب مع إبقائهم ضعفاء بالجهل والضغط وذبذبة اللسان ، ومنع الالبانيين والاكراد من تدوين لغتهم وجعلها لغة علمية . وهذا من المقاصد السرية التي لا يعترفون بها على استعجالهم بتنفيذه بالعمل وبكتابة جريدة طنين

من آثار هذه السياسة هذه الحرب الطحون في اليمن والبلاد الالبانية وقد كان من أسهل الامور تنفيذ الاصلاح المعقول في هذين القطرين في ظل السلام والامان

قد وقفنا في الآستانة على كل هذا ورأينا أهل الرأي والغيرة من سكان هذه العاصمة يتوقعون الفتن ويخافون العواقب من سياسة هذا الرهط من زعماء الاتحاديين ولم أحب أن أشرح تلك الامور وأبين ما فيها من الخطر بل سعيت الى الاصلاح هنالك ماستطعت فلم يغن نصحي لهم شيئاً ، ولما عدت الى مصر أشرت بلطف الى ما يخشى من خطر اليهود والماسونية في هذه المملكة الاسلامية ، وتركت الشرح والتفصيل ، والتشنيع والتقريع ، لانني لم أر ذلك من الحكمة

كان صادق بك كل هذه المدة بالمرصاد يراقب الحوادث من بعد لا يحرك فيها قلماً ولا لساناً ، ولا يجرد لها سيفا ولا يشرع سناناً ، حتى اذا ما رأى قوة المعارضين للاتحاديين ووزارتهم من أحزاب المجلس قد عظمت ورأى ان أهل الاستقلال والانصاف من حزب الاتحاد نفسه متبرمون من الحكومة ومن تأييد أولئك الزعماء لها ومن سياستهم الماسونية ولوازمها — حتى إذا مارأى ذلك خانه الصبر وعز عليه ان يدع الدستور الذي أخذه بقوة يمينه والجمعية التي شرفها بعمله واخلاصه آلة في يد هؤلاء الرهط الذين لم يحسنوا التصرف ولم يقيموا الميزان ، فمد يده الى المستقلين المنصفين من حزب الاتحاد ، وبذل لهم مظاهرته فيما يقيمون به عوج أولئك الافراد ، ويحولون بينهم وبين الاستبداد ، ويصلحون ماحدث في الامة والدولة من الفساد ، فاشتدت عزائمهم ، وصاحوا في وجوه أولئك الزعماء تلك الصيحة المزعجة ، واقترحوا عليهم تلك الاقتراحات المنصفة ، فارتفعت أصوات التأييد والتفنيد ، فكانت أصوات طلاب الاصلاح أجهر ، وعددهم أكثر ، فأظهر الزعماء الرضا واجمين ، وذلت أعناقهم لها خاضعين ، ثم ولوا الى أنصارهم مدبرين ، ووجموا الى ضباطهم مستنصرين ، فاذا ليث الغاب ، قد انكشف عنه الحجاب ، ففزع حتى باشا الى مولانا السلطان ، وقال انه لا يكون في العاصمة صدران ، فاما قبول استقالتي ، وإما دفع صادق بك باتي ،

وإخراجه من المدينة، ريثما تعود اليها السكينة، فأوحى الى محمود شوكت باشا أن يخرج صادقا ففعل وما كاد ، ونبأنا البرق ان صادقا أبى أولا ثم أجاب

كان أول ما طرق مسامعنا في هذه الحادثة قول البرقيات العامة ان الامير ألاي صادق بك (وذكرها بعضهم صديق) ابى ان يطيع الامر بالخروج فاستكبرت الامر، واستعظمت الخطب ، ورأيت الناس حولي غير مبالين ، فقلت ان هذا هو البلاء المبين، ولا بد ان ننتظر تفسيره الى حين ، فان الدولة لم يظهر فيها بعد الانقلاب الا رجلان عسكريان ، احدهما صادق بك موجد الدستور ، وثانيهما حامي بيضته وهو محمود شوكت باشا فاتح استانبول ، ولكل منهما مكانة في الجيش عظيمة فاذا تصادما وقع الخلل في الجيش وذهبت الثقة بالدولة ، ولا يعلم العاقبة الا الله تعالى، واني لأصدق ان صادقا الضابط المخلص الكامل يعصي أمر رئيسه ، واحمد الله ان صدق ظني ، ولم تلبث البرقيات ان شهدت بصحة قولي ، ثم جاءت صحف الآستانة ورسائلها بالتفصيل ، وعلى الله قصد السبيل ،

مطالب المصلحين في حزب الاتحاد

جاءت مطالب المصلحين مصدقة لجميع ما كنا علمناه في الآستانة من حقيقة ما عليه زعماء الاتحاد ومن تأثير سياستهم ، وقد حدثنا به خواص أصحابنا ، واشرنا الى المهم منه في المنار ، وهاك مطالبهم العشرة التي قرروها وأعلنوها

«١» ان لا يسعى المبعوثون الى الامتيازات والمنافع لانفسهم ولا لغيرهم

«٢» ان لا يقبل المبعوثون وظائف الحكومة وأعمالها

«٣» ان يكون قبول أحد المبعوثين نظارة من النظارات بقرار الثلثين من فرقة الاكثرية ويكون اعطاء الرأي بالطريقة السرية

«٤» ان يعتنى بتنفيذ القوانين وبالمراقبة على النظار

«٥» أن يعتنى بمسئلة اتحاد العناصر (كما كان) وان يبذل الجهد في سبيل ترقي الزراعة والصناعة والتجارة والمعارف على نسبة الاحتياج

«٦» أن يحافظ على الآداب والاخلاق العمومية الدينية مع الاقتباس من المدنية الاوربية

«٧» ان يحافظ على عادات السلف ضمن دائرة القانون الاساسي

«٨» ان يعجل بقانون نصب وعزل عمال الحكومة الموظفين

«٩» ان يعدل في القانون الاساسي بعض المواد المتعلقة بحقوق الخلافة والسلطة

«١٠» أن تقاوم مقاصد الجمعيات المؤسسة على السرّ .

كل مطلب من هذه المطالب حجة على الاتحاديين الذي كانوا يصفون جمعيتهم بالجمعية المقدسة وعلمهم سياسة اولئك الرهط من الزعماء، دع أخذ الامتيازات والمسرة لطلابها ، ودع التوسل بالبيروقراطية الى المناصب وهو ما يعيبون به غيرهم بالتهمة ، ودع عدم تنفيذهم القوانين والحكومة في أيديهم ، وحمايتهم للنظار ونصرتهم على كل حال ودع عدم وضعهم قانونا للعزل والنصب ليكون الامر كله تابعاً لمشيئة الافراد ، ودع تغييرهم عناصر الدولة كلها من الحكومة ومن العنصر التركي الذي لاذنب له سواهم، وتأمل مسألة المحافظة على الآداب والاخلاق الدينية وعادات السلف، فان اقتراحها يدل على انه يراد بها درء مفاسدهي أشد خطراً على الامة ولا سيما على العنصر التركي من جميع تلك المفاسد السياسية والادارية ، فانما الامة بمقوماتها ومشخصاتها من العقائد والشعائر والآداب والاخلاق ، وقد كانت كلها عرضة للفساد ، بجعل الصلاة في مدارس الحكومة ولا سيما الحربية امراً اختياريا ، ومن إباحة تهتك النساء ، بل الامر أعظم من ذلك فقد سمعت بأذني بعض الزعماء يجادل معمما من رفاقه الاتحاديين فيما ترتقي به الامة ، فالمعمم يقول انما نرتقي بالمحافظة على آدابنا واخلاقنا وشعائرنا وسائر مقومات حضارتنا الاسلامية وباقتباس الفنون والصناعات من أوربة، والزعيم يقول بل يجب ان نمشي وراء فرنسة في كل خطوة ونتبع سننها شبراً بشبر وذراعا بذراع في الامور المادية والمعنوية جميعاً وان نعصر رجال الدين عصراً الخ

ثم تأمل مسألة الخلافة الاسلامية والجمعيات السرية وتذكر مقاصد الماسون في الحكومات ومقاصد الصهيونيين في فلسطين ، وقل رب احكم بالحق وانت احكم الحاكمين